

واقع الممارسة النفسية العيادية في الجزائر

أ. د. شرفي محمد الصغير

أ. طالب حنان

أ. خافري زهير

جامعة سطيف

يتكون فريق العمل في مجال الصحة النفسية عادة من عدد من المتخصصين أو المهنيين مثل الأخصائي النفسي العيادي، والطبيب النفسي، والأخصائي الاجتماعي، الطبيب العام، المختص الأرطوفوني. وقد تتسع هذه التخصصات لتشمل أخصائيين آخرين مثل المرشد النفسي، الأخصائي البيداغوجي، والممرض، وغيرهم .. ولكي يؤدي هذا الفريق عمله على أكمل وجه يجب على كل عضو أن يكون لديه فهم صحيح لمهامه وأدواره.

إن الغموض في دور الأخصائي النفسي العيادي يطرح قضية رئيسية تحاول الدراسة الحالية بحثها من خلال الوقوف على واقع ممارسته اليومية في الجزائر وهذا من وجهة نظر الأخصائي النفسي العيادي نفسه. ويمكن تحديد المشكلة التي تطرحها الدراسة الحالية بشكل دقيق في التساؤل الرئيسي التالي :

ما هو واقع الممارسة اليومية للأخصائي النفسي العيادي في الجزائر كما يدركها هو؟، ومحاولة الإجابة على هذا التساؤل قسمنا العمل إلى جانبين نظري وتطبيقي؛ في الجانب النظري تطرقنا لمهام الأخصائي النفسي العيادي كما جاء في النصوص القانونية الجزائرية ثم تناولنا مهام هذا الأخير كما ورد في التراث السيكلوجي. أما في الجانب التطبيقي فقد أجرينا مقابلات مفتوحة مع 35 أخصائي نفسي عيادي موزعين على ست ولايات لمحاولة التعرف على تقييمهم لواقع ممارستهم اليومية.

1 - مهام الأخصائي النفسي العيادي حسب النصوص القانونية الجزائرية :

المرسوم التنفيذي رقم 91-111 مؤرخ في 12 شوال عام 1411 الموافق 27 أبريل سنة 1991 وهو يتضمن القانون الأساسي الخاص بالاختصاصيين في علم النفس.

الأحكام المطبقة على سلك الاختصاصيين في علم النفس العيادي التابعين للصحة العمومية
الفصل الأول: سلك الاختصاصيين في علم النفس العيادي التابعين للصحة العمومية

- المادة 17: يشتمل سلك الاختصاصيين في علم النفس العيادي على رتبتين :
- رتبة اختصاصي في علم النفس العيادي التابع للصحة العمومية.
- رتبة اختصاصي رئيسي في علم النفس العيادي التابع للصحة العمومية.

القسم الأول: تحديد المهام

- المادة 18: يكلف الاختصاصيون في علم النفس العيادي التابعين للصحة العمومية، تحت سلطة المسؤول السلمي بالقيام بالمهام الآتية :
- اختبارات بسلوكية
- حصيات بسلوكية
- تشخيص وتنوآت بسلوكية
- توجييات
- مساعدات بسلوكية (توجيه، إرشادات، مرافقات بسلوكية للمصاب بمرض خطير، تحضيرات بسلوكية للعمليات الجراحية).

- المادة 19: الاختصاصيون في علم النفس الرئيسيون التابعين للصحة العمومية، تحت سلطة المسؤول السلمي وفقاً لاختصاصهم عند الاقتضاء وفي الهياكل التي عينوا فيها بالمهام الآتية :
- استعمال تقنيات نفسانية علاجية متخصصة.
- عمل في المؤسسة
- تكوين المستخدمين الطبيين و شبه الطبيين بالعلاقة مع المريض (فوج بالين)
- استعمال بعض العلاجات النفسية خاصة
- العلاجات النفسية المدعمة
- معالجة السلوك - تراخي
- عدم التحسس للألم
- معالجة الذكاء (عند الرضيع و الطفل)
- رفع مردودية سير الفرق الصحية بإدارة العلاقات الإنسانية
- مداواة جماعية
- ديناميكية الجماعة
- بسلوكي درام
- يشاركون في تكوين الاختصاصيين في علم النفس العيادي.

المرسوم التنفيذي رقم 93-102 مؤرخ عام 1413 الموافق 12 أبريل سنة 1993، وهو يتضمن القانون الأساسي الخاص بعمال الإدارة المكلفة بالشؤون الاجتماعية :

الباب الرابع : أحكام تطبق على الموظفين المتخصصين في علم النفس.

الفصل الأول: سلك المتخصصين في علم النفس العيادي للشؤون الاجتماعية.

المادة 46: يشتمل سلك المتخصصين في علم النفس العيادي على رتبتين :
- رتبة المتخصصين في علم النفس العيادي من الدرجة الأولى
- رتبة المتخصصين في علم النفس العيادي من الدرجة الثانية

الفرع الأول: تحديد المهام

المادة 47: يقوم النفسانيون العياديون من الدرجة الأولى تجاه الأشخاص الموضوعين في المؤسسات أو المصالح المختصة التابعة للشؤون الاجتماعية بمهام الوقاية والعلاج وإعادة التربية والاعتبار.

وبهذه الصفة، فهم مكلفون بما يأتي على الخصوص :
- تطبيق الروايز النفسية دورياً وتفسيرها وتشخيص المرض النفسي وإبداء رأي عيادي حسب الحالة.

- المتابعة الفردية أو الجماعية للأشخاص المعنيين.
- المشاركة في اجتماعات فريق التكفل المتعدد الاختصاصات وفي اللجنة أو المجلس النفسي التربوي التابع للمؤسسة.

وفضلاً عن ذلك، يقوم النفسانيون العياديون من الدرجة الأولى بفحص خارجي خاص بالأشخاص الذين تتوفر فيهم شروط الالتحاق بالمؤسسة والمسجلين في قائمة الانتظار كما يقومون بتوجيه عائلات الأشخاص الموضوعين تحت رعايتهم.

المادة 48: يكلف المتخصصون في علم النفس العيادي من الدرجة الثانية زيادة على المهام المنوطة بالنفسانيين العياديين من الدرجة الأولى بما يأتي :
- المشاركة في تحديد برامج التكوين وإثارتها وتأطير التلاميذ المتمرنين في مؤسسات التكوين العمومية التابعة للوزارة المكلفة بالشؤون الاجتماعية.
- المشاركة في تأطير البحوث والأطروحات.
- المشاركة في كل بحث تبادر به المؤسسات العمومية للتكوين المتخصص.

2 - علم النفس العيادي في التراث العلمي :

2-1- تاريخ علم النفس العيادي :

بدأ التيار الإكسليسي في علم النفس في عكس اتجاه فكر Auguste Comte الذي لم يكن يتنبأ بأي احتمال لانتفاء علم النفس للجانب العلمي بسبب افتقاره لموضوع الدراسة، ويعتبر John Stuart Mill الذي كان يفتقر للدلائل الموضوعية أول المدافعين عن علمية علم

النفس. وتتابع بعده العديد من الإسهامات بدأت مع Pierre Janet مرورا بـ H.Wallon , J.Piaget , S.Freud

بفضل التعبير الذي أحدثه Philippe Pinel في نظريته للمريض (المجنون) في القرن التاسع عشر، إذ أصبح يعدّ فردا يطبق عليه العلاج النفسي بعد أن كان يتبع كالشيطان ويضرب كالحيوان . وضع مخططا - كتصميم أولي - للمساعد العيادية للمريض وإدخال البعد الإكلينيكي ذي الصبغة الفلسفية على الطب العقلي، مظهرا بذلك رغبته في إعطاء تقاسير وتأويلات لسلوك المرضى بالارتكاز على ملاحظاتهم.

وبالرغم من أن Freud استعمل تعبير "علم النفس العيادي" مرة واحدة في رسالة وجهها لـ Wilhelm Fliess سنة 1899، إلا أنه كان صاحب التأثير الكبير في التوجه الإكلينيكي وتقنياته العلاجية من خلال دراسة الحالة المعقدة للأفراد. ويعتبر Janet والذي كان متأثرا بـ Henri Piéron أول من تكلم عن علم النفس العيادي، وأظهر اهتمامه بدراسة الفرد دراسة خاصة وفردية لفهم مرضه مبتعدا عن منهج علم النفس التجريبي الذي كان سائدا بدايات القرن العشرين. وتم تناول التجربة الأولى لعلم النفس العيادي في الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق Lightner Witmer سنة 1896 ويعتبر أول من استعمل تعبير "علم النفس العيادي" والطريقة العيادية"، وقد أنشأ أول عيادة نفسية "psychological clinic" للكفل بالأطفال المخلفين عقليا. ومن هنا وجد هذا التخصص طريقه إلى فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية، ليجد اتساعا وانطلاقة حقيقية بفضل أعمال و مجهودات Daniel Lagache. ومنه نرى بأن علم النفس العيادي قد استمد أصوله ومنابعه من الطب العقلي، التحليل النفسي، وعلم النفس العام، والتجريبي، وكذا علم النفس الفارق مع ما أدرجه من تطبيق للاختبارات النفسية.

علم النفس العيادي كما هو معروف حاليا في فرنسا والعديد من دول العالم والجزائر من ضمنها، مرتبط باسم Daniel Lagache و Juliette Favez-Boutonnier كلاهما طبيب، وفيلسوف ذو توجه تحليلي، هذه التركيبة الثلاثية هي ما أعطت لعلم النفس العيادي طابعه الخاص. فهو مكون من قوة قطبين يعبر أحدهما عن القطب "الموضوعي" عملا باستعمال الاختبارات، والآخر عن القطب "الذاتي" عملا بوضعية الفحص و/أو العلاج. ولقد استمد علم النفس العيادي إلى هذه الركائز الثلاث :

- فمن الطب أخذ الطريقة وهي العيادة، وهدفها هو التشخيص والعلاج.
- ومن الفلسفة استقى مفهوما عن الإنسان، وخاصة الاتجاه الظاهري الذي يرى بأن كل فرد فريد، ولكل معاشه الخاص الذي لا يمكن تلخيصه في معاش فرد آخر.
- أما من التحليل النفسي فقد سعى لفهم التوظيف النفسي، أركان الجهاز النفسي، التراتب والصراعات الحاصلة وآليات الدفاع وما ينجر عنه من أعراض.

لقد أدت الأبحاث والتأملات العديدة التي قام بها Daniel Lagache إلى تحديد ثلاث أشكال لعلم النفس :

1- علاقة الفرد (الأخصائي) مع نفسه (أنا / أنا نفسي) : أين يستكشف الفرد في حياته مع محاولة لتفهم ذاته.

2- العلاقة بين الفرد (أخصائي) و الآخر (أنا / أنت) : تتناول التفاعل مع الآخر. فدخل شخص ثاني في هذه العلاقة يجعل منها علاقة إكلينيكية وعلم النفس هنا عبارة عن علم نفس إكلينيكي.

3- العلاقة بين فرد (أخصائي) وآخر غائب (أنا - هو) : علم نفس تجريبي، الذي يتلخص في ملاحظة سلوكيات الفرد، ولا تستدعي علاقة بين فردية.

وعلى هذا الأساس اقترح Daniel Lagache في 1949 نظريته حول علم النفس العيادي أثناء إلقاء محاضراته في جامعة السربون بعنوان "علم النفس العيادي والطريقة الإكلينيكية"، أوضح فيها موضوع علم النفس الإكلينيكي وبأنه الدراسة المعمقة لسلوك الإنسان السوي والمرضي، المتكيف وغير المتكيف. وبهذه الكلمات وضع أسس علم النفس العيادي كاختصاص يدرس في الجامعات، واقترح تعريفا خاصا به يميزه عن باقي الاختصاصات كالطب العقلي وعلم النفس المرضي. وهو ما سمح باقتراح أسلوب لمقاربة أشمل من علم النفس التجريبي، وبأقل درجة من المرضية المميزة للطب العقلي، وأكثر استعمالا للأدوات منه في التحليل النفسي، هذا الأخير الذي كان له تأثيره الخاص في تحديد طابع علم النفس العيادي في فرنسا. وأصبح علم النفس العيادي على يده اختصاصا قائما بذاته، وسطر له حدودا خاصة به. وقد أنشأ منهجه المتمثل في طريقة دراسته المعمقة للحالات الفردية لفهم التوظيف النفسي للإنساني. ويعتبر أحد رواد علم النفس العيادي الذين عملوا على تطوير الطريقة العيادية.

ولقد أوضح Lagache عن وجود منهجين أساسيين في علم النفس العيادي : الأول يركز على الملاحظة و المقابلة العيادية. والتي عبر عنها بقوله : C'est la clinique à main nus، أما الثانية فهي تتميز بتطبيق الاختبارات، وعبر عنها بقوله : Il s'agit de la psychologie armée.

2-2-2- مساهمة Juliette Favez Boutonnier :

عملت Juliette Favez Boutonnier على تعميق النموذج النظري الذي جاء به Lagache، وسمحت لعلم النفس العيادي بأن يفتح على مجالات أخرى غير مرضية، منفصلة المنهج العيادي غير المسلح، ومؤكدة على علاقة التأثير والتأثر بين المريض والمعالج، وهي ترى بأنه من الأفضل أن التطور يكون في العلاج وبذلك فهي تحاول فهم الوظائف النفسية في وضعيات العلاج.

وكانت إضافتها لعلم النفس العيادي عبارة عن إدماج الفلسفة مع الطب، وعلم

النفس مع التحليل النفسي، وأطلقت على أول مختبر لعلم النفس العيادي الذي أنشأته في 1959 اسم "مختبر علم النفس الفردي والاجتماعي" ليحمل بعدها اسم "علم النفس العيادي" سنة 1967. (Samcher, 1998 ; p27).

لقد كان الاتجاه الذي أراده Lagache و Boutonnier لعلم النفس العيادي يعبر عن "توجه إنساني وشامل"، فهو علم "السلوك الإنساني الملموس"، ودراسة الفرد الملموس والشامل في تفرده كحالة، ولكن أيضا الاهتمام بالجماعة، وهو ما جعله يتطلع لعلم نفس إكلينيكي اجتماعي.

2-3-تعريف علم النفس العيادي :

ترجع كلمة عيادي "إكلينيكي" إلى الكلمة اليونانية klinê أي سرير، ترجع إلى التطبيق الطبي أين يلاحظ الطبيب مرضاه على السرير، والتي من خلالها يمكنه وضع تشخيص واقتراح علاج له.

تعريف Daniel Lagache :

هو علم يدرس السلوك الإنساني المتكيف وغير المتكيف، السوي والمرضي. يهدف لفهم وتأويل سلوكيات الفرد في إطار "المعنى، البنية والنشوء". وهو الدراسة المعمقة للسلوك الإنساني الفردي الخاص في مختلف شروطه وظروفه (النفسية، الجسدية، المرضية، والمتعلقة بال محيط، تاريخ الفرد، النضج ..) عن طريق الملاحظة والمقابلة العيادية. ويقول بأنه : " يمكن وصف علم النفس العيادي بالعلم الايديو غراف "idiographique" (فيه وصف للحالات الفردية)، وأيضا "non nomothétique" (تجري العموميات، الفئات، لأجل تحديد القوانين).

تعريف Juliette Favez Boutonnier :

علم النفس العيادي هو دراسة الشخصية الفردية (الخاصة) في كلية وضعيتها أو موقفها . اتبعت طريقة Lagache، و ركزت أكثر على الملاحظة والمقابلة العيادية، وفي الوقت نفسه أعطت منحى جديد لعلم النفس الإكلينيكي وهو في تعميمه وتوسيع مجالاته (في التربية، التوجيه ، الجماعة ..)، وعدم حصره في مجال السوي والمرضي.

تعريف Anzieu Didier :

لقد كان Anzieu يسعى دائما إلى تحديد العلاقة بين علم النفس الإكلينيكي والتحليل النفسي، حيث يرى بأن علم النفس يهتم بكل ما هو علائقي وتكيفي كما يهتم بكل الفئات والأعمار. وأن وظائف علم النفس الإكلينيكي تتمثل في ثلاث نقاط : تكوين

الأخصائيين، تشخيص الاضطرابات، وتكوين الخبرة.

في سنة 1974 أعاد Anzieu تعريف علم النفس الإكلينيكي، وذلك بإضافة ثلاثة مسلمات قاعدية وهي :

المسلمة الديناميكية : مفهوم الصراع الذي يعتبر مركزي في علم النفس الإكلينيكي، فالفرد دائما في صراع مع نفسه، مع الآخرين ومع محيطه، ولذلك يجب على علم النفس دراسة هذا الصراع من حيث شدته، ومن حيث الميكانيزمات التي يستعملها، كيفية التعبير عنه، وكيفية حله.

المسلمة التفاعلية : من أجل فهم المريض وأعراضه في تفاعله مع محيطه العائلي والثقافي ، وهو ما يوضح معنى الصراعات والأعراض التي يعيشها الفرد .

المسلمة النشئية : ويقصد بها تاريخ الفرد (النكوصات، التثبيتات ..) وكل هذا مهم لفهم ظهور السلوك المرضي وأسبابه.

ومن خلال كل هذا نرى بأن علم النفس الإكلينيكي في بداياته كان أكثر ارتباطا بالتحليل النفسي، لكن فيما بعد أثري بنظريات جديدة ومختلفة.

تعريف اللجنة العيادية لجمعية علم النفس الأمريكية :

تعرف هذه اللجنة ميدان علم النفس العيادي بأنه: "صورة من صور تطبيق علم النفس، وهو يهدف إلى تحديد إمكانيات السلوك وخصائصه عند الفرد، عن طريق وسائل القياس، والتحليل، والملاحظة، والذي يقوم على أساس تكامل النتائج التي يحصل عليها، بالإضافة إلى نتائج الفحص الجسدي وتاريخ الحالة، واقتراحاته وتوصياته، لتحقيق تكيف توافقي ملائم للفرد".

3-الأخصائي النفسي العيادي و مهامه في التراث السيكولوجي :

الأخصائي النفسي العيادي هو شخص مختص تلقى دراسات عليا، وتحصل على ليسانس في علم النفس الإكلينيكي الذي يعتبر فرعاً من فروع علم النفس العام، وهذا الشخص يحتفظ بولائه لعلم النفس الذي يتلقى تكوينه فيه، ويلتزم بقيمه الأساسية منها القيم المرتبطة بالبحث العلمي، ويتميز هذا المختص بمميزات خاصة تتجاوزا بذلك كل مشاكله الشخصية، وتكوينه هذا يسمح له باستخدام الوسائل والطرق السيكلوجية من أجل فهم مشكلة العميل وتشخيصها والعمل على علاجها، وذلك بعد تلقيه لتدريبات في المواقف العيادية.

وهو ذلك الشخص الذي يستخدم الأسس، التقنيات، الطرق والإجراءات السيكلوجية لفهم ديناميات شخصية العميل وتشخيص مشكلاته والتنبؤ عن احتمالات تطور حالته ومدى استجابته لمختلف أصناف العلاج ثم العمل إلى الوصول بالعميل إلى أقصى

توافق اجتماعي ذاتي ممكن، ويكون هذا بالتعاون مع فريق طبي كل في حدود إعدادة وتدريبه وإمكانية.

ويقول العالم "مهني" بأن الأخصائي يجمع دورين، بوصفه عالما وبوصفه ممارسا لمهنة وهو ما يستلزم ضرورة تحقيق التكامل بين تدريبه على الممارسة العلمية في الميدان وإعدادة الأكاديمي في الجامعة. فالأخصائي النفسي هو شخص اكتسب أسس وتقنيات تسمح له بالتعرف على شخصية العميل وتشخيص مشكلاته وبالتالي وضع خطة للعلاج مستعينا بفريق طبي كل واحد منهم حسب اختصاصه وتدريبه.

سمات وخصائص الأخصائي النفسي الإكلينيكي :

يعتبر الأخصائي العيادي صلة الوصل بين العميل والتشخيص الدقيق، حيث يشترط أن تتوفر فيه مجموعة من الصفات الإيجابية التي تجعله عنصرا ناجحا في تعامله مع الأسوياء وغير الأسوياء، حيث يجب أن تكون لديه قدرة خاصة على فهم الآخرين، ودوافعهم وإحباطاتهم، وأن تكون لديه شخصية ثابتة وناضجة ذات توازن انفعالي ونظرة شاملة وبعيدة لكل ما يتصدى له من واجبات. إن اختيار مهنة أخصائي نفسي تقتض وجود ميزة الإصغاء، التحليل، وفهم جيد لمختلف السلوكات الإنسانية. وهذا يتطلب مرونة كبيرة على مستوى الفكر وتعدد الاهتمامات في مختلف الميادين. يستخدم الأخصائي النفسي الإكلينيكي الأسس والتقنيات والطرق والإجراءات السيكلوجية، ويتعاون مع غيره من الأخصائيين في إطار زمن التفاعل الإيجابي بقصد فهم ديناميات شخصية العميل، ومن أجل هذا يتعين على الأخصائي النفسي الإكلينيكي أن يتمتع بخصائص شخصية.

وقد أصدرت لجنة التدريب الإكلينيكي في جمعية علم النفس الأمريكية قائمة خاصة تحتوي مجموعة من السمات التي يجب أن تتوفر غي الأخصائي النفسي الإكلينيكي :

- الرغبة في مساعدة الآخرين دون محاولة لفرض سيطرته عليهم واحترام حريتهم واستقلالهم.
- أن يتمتع بقدر عال من الاستبصار لدوافعه ومشاعره ورغباته وحاجاته حتى لا تعرقل رغباته الذاتية الحياتية في عمله، لأن تكامل الشخصية والاتزان من العناصر الضرورية التي توحى بالثقة، وأن يعطي الناس فكرة ثابتة وجيدة عن سلوكه في نطاق العمل وخارجة، حتى لا يجد في أسلوبه نوعا من الازدواج أو التناقض، وأن تكون لديه بعض القيم والمثل الطيبة كصورة تعكس نضج شخصيته وتكاملها.
- أن يتمتع بصفة التسامح واحترام وجهات نظر الآخرين، لاسيما مع الطوائف الدينية والسلالات المختلفة.
- القدرة على إقامة علاقات فعالة مع الآخرين.
- الضبط الانفعالي لديه، لأن ردود فعل العميل تتأثر بشكل أو بآخر بذاتية الممارس

وانفعالاته.

- أن يكون مخلصا أميناً محافظاً على وعوده، مستخدماً كافة مهاراته ومعلوماته لمصلحة المريض بعيداً عن مظاهر الاستغلال.
- الإحساس بالمسؤولية المهنية والالتزام بمعايير المهنة تقنياً وأخلاقياً.
- الاهتمام بعلم النفس عامة والاهتمام الخاص بالجوانب الإكلينيكية في علم النفس.
- القدرة المعرفية والأكاديمية مع الإثراء المتواصل للجانب التطبيقي من خلال القراءات، التكوين المتواصل، البحث .. الخ.
- العمل مع فرقة متعددة الاختصاصات (pluridisciplinaire).

وحسب كارل روجرز يرى أن هناك خصائص يجب أن تتوفر في الأخصائي النفسي وهي :

- أن يكون شديد الحساسية للعلاقات الاجتماعية .
- أن يتصف بالروح الموضوعية والاتجاه الانفعالي غير المتحيز .
- أن يكون لديه احترام لكل إنسان وأن يتقبله كما هو وأن يترك له الحرية ويختبر ما يقترحه من حلول.
- أن يعرف نفسه ودوافعه وأن يدرك قصوره وعجزه الانفعالي.
- أن تكون لديه الخبرة والقدرة على فهم السلوك الإنساني.
- يجب أن يتقبل الأخصائي نفسه كما هي حتى يستطيع تقبل الآخر.

مهام الأخصائي النفسي الإكلينيكي :

يختلف دور الأخصائي الإكلينيكي عن المحلل حيث يهتم هذا الأخير بالبعد الخيالي، بينما الآخر يهتم أكثر بالبعد الواقعي . ولاختلاف مجالات علم النفس العيادي ومجالات الجانب التطبيقي يصبح للأخصائي النفسي عدة أدوار (Samacher , 1998,p33) ..

من الممكن أن نقسم أوجه النشاط التي يمارسها الأخصائي النفسي الإكلينيكي إلى ثلاث مجموعات أساسية من الأساليب والمهارات (جوليان روترز. ترجمة عطية محمود هنا. 1980، ص 25، 26) :

- المجال الأول : قياس الذكاء والقدرات العامة؛ هذا الشرط لا يتضمن مجرد قياس القدرة الكاملة للفرد بل يتضمنه أيضاً تقديره، وإمكانياته وكفاءته أثر للنشاط أو الظروف الأخرى التي تحيط به في القيام بوظائفه العقلية.

- المجال الثاني : يتعلق بقياس الشخصية؛ ويتعلق بقياس الشخصية ووصفها، وتقويمها، وما يضمنه، من تشخيص ما يمكن أن ينطلق عليه "السلوك المشكل"، أو الشاذ أو غير التوافقي، ومثل هذا القياس الشخصي ليس مجرد محاولة لتحديد المرض الخاص الذي يشكو منه الفرد، بل محاولة لوصف الظروف السيكلوجية للفرد وصفاً تفصيلياً ودقيقاً قدر الإمكان.

- المجال الثالث : العلاج النفسي؛ ويقصد به طريقة العلاج التي يتحدث فيها المعالج للمريض عدة ساعات في محاولته لمساعدته على فهم نفسه والوصول إلى التوافق، وهذا المصطلح "العلاج النفسي" يستخدم بمعنى أوسع لوصف جميع طرق العلاج النفسي، وهذه الطرق تتضمن معالجة المرض وجها لوجه لفترة من الزمن، وتوجيه التوصيات للأباء والمدرسين أو المرضى أنفسهم، أو توصية بإحداث هذه التغيرات، وبعبارة أخرى تتضمن هذه الطرق أية أساليب أو توصيات لزيادة توافق الفرد.

بإمكان الأخصائي النفسي الإكلينيكي أن يقوم بأعمال كثيرة أخرى بالإضافة إلى هذه الوظائف التطبيقية، فعدد كبير من الأخصائيين الإكلينيكيين يقومون بالتدريب وإجراء البحوث، وفي بعض الأحيان تكون هذه البحوث مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمشكلات التطبيقية، وذلك على اعتبار أن مثل هذه البحوث ستؤدي - في النهاية - إلى فهم أفضل للمشكلات الإكلينيكية، بالإضافة إلى هذه الأنشطة فإن الكثير من السيكولوجيين يهتمون بميادين أخرى من علم النفس مثل ع. ن الفيزيولوجي، ع. ن التجريبي، ع. ن الاجتماعي، ع. ن الصناعي، وللسيكولوجيين أدوار هامة أيضاً في المؤسسات العامة وفي المؤسسات الأخرى مثل مؤسسات فاقد البصر، الصم البكم، والمعوقين حركياً.

وأدرج Gose دور الأخصائي النفسي في سبع نقاط (Gose, 1972, p85) :

1. القيادة المتخصصة لفريق التوجيه والإرشاد والقيادة العلمية في عمليات الإرشاد الجماعي وغيرها.
2. تشخيص وحل وعلاج المشكلات النفسية.
3. الإشراف على إعداد وسائل وحفظ السجلات الخاصة بالعملاء.
4. القيام بعملية الإرشاد فهو الأخصائي الخبير المسؤول عن العملية وتقديم خدمات الإرشاد العلاجي بصفة خاصة.
5. تولي مسؤولية متابعة حالات العلاج والإرشاد.
6. مساعدة زملائه أعضاء الفريق العلاجي والإرشادي استشارياً فيما يتعلق ببعض نواحي التخصص.
7. الإسهام في تطوير العملية التربوية والمناهج وإدماج وتكامل برنامج العلاج والتوجيه والإرشاد فيها.

ما الذي يجب توفره في الأخصائي النفسي من كفاءات؟
يجب أن تتوفر في الأخصائي النفسي بعض الكفاءات التقنية القاعدية والتي من غيرها لا يكون التشخيص صحيح منها :
- يجب على الأخصائي جمع المعلومات الخاصة بالحالة ككل، وهذا لا يكون إلا من خلال الإصغاء للطلب، الملاحظة، المقابلة، تحليل الملف، تبادل المعلومات مع أخصائيين آخرين.

- الفحص النفسي الذي يهدف إلى تقدير مرحلة النمو النفسي وتحديد نوع الشخصية من خلال الاختبارات، المقابلة، الملاحظة من أجل تحديد نوع المساعدة.
- توجيه الحالة إلى الأشخاص المختصين (أطباء، أطر فونى، طبيب عقلى...) توجيهها صحيحا إذا تطلب الأمر ذلك.
- وضع خطة للمتابعة النفسية للحالات من أجل الوقاية أو العلاج.
- التشخيص الذي يهدف إلى إعطاء إجابات لمختلف الأسئلة المتعلقة بالتوظيف السيكولوجي، وبالتالي التعرف على وجود مرض أو اضطراب ما.
- التكهن، أي التنبؤ بتطور ومآل الحالة في المستقبل.

هناك أيضا بعض الكفاءات الخاصة بالأخصائي النفسي :
- معرفة وفهم بعض المفاهيم والمصطلحات الطبية في : الأعصاب، الجراحة، وكل ما يخص المعاقين .
- إتيان اللغة الفرنسية، لأن وظيفة الأخصائي النفسي تجبره في بعض الأحيان على كتابة تقارير ورسائل توجيه الحالات للأطباء المختصين.
- يجب على الأخصائي النفسي معرفة حقوقه الإدارية والقانونية.
- القدرة على كتمان أسرار الحالات.

مجالات وأبعاد العمل الإكلينيكي :

إن مهنة الأخصائي النفسي تؤدي في قطاع عمومي أو خاص، وتختلف باختلاف المؤسسة التي يعمل بها.
- العمل في العيادات النفسية أو المستشفيات ومجال الصحة، يقوم فيها بالتشخيص أو العلاج أو بهما معا، وعمل الأخصائي النفسي في هذا المجال هو محاولة التعرف على أصل السلوك ومراقبة ومساعدة الأشخاص لإيجاد طريقة أنسب للتعامل مع المرض.
- العمل في المؤسسات الإصلاحية كمؤسسات الأحداث والمنحرفين، ويقوم فيها بدراسة الحالات، وتقديم الاقتراحات الخاصة بتلك الحالات، ويساعد في توجيه الأفراد والعمل على تكوينهم مع متطلبات الحياة الاجتماعية.
- العمل في ميادين الخدمة الاجتماعية والإسكان والتعمير والصناعة، في الشركات ووسائل الإعلام، مكاتب العلاقات العامة، ومؤسسات التأمين، ومكاتب التدريب والتوجيه المعنوي للقوات المسلحة.
- العمل في مجالات التوجيه المهني والتربوي والنفسي في المؤسسات التعليمية والجامعية على اختلاف مراحلها، فمهمة الأخصائي النفسي هي مساعدة الطفل - الذي يعاني من مشاكل - على التكيف الأفضل في المدرسة، وأيضا مساعدة الأساتذة على تفهم تلاميذهم من حيث استعداداتهم وقدراتهم .. وفيه يساعد الأخصائي العيادي التلاميذ والطلبة على الاختيار السديد للدراسات التي تلائم إمكانياتهم، مع محاولة إيجاد ارتباط بين مختلف استعداداته وما يطمح إلى الوصول إليه. ويقوم بدراسة مشاكلهم وإيجاد الحلول المناسبة لها.

ويعتمد في عمله على الاختبارات والمقاييس، فهو يؤدي عمليتين : التشخيص والتوجيه الإرشادي، وأحيانا يتابع عملية العلاج طبقا لحجم المؤسسة وظروفها. ويمكن للأخصائي النفسي على مستوى الجامعة أن يقوم بأدوار التعليم، البحث، والعمل الإداري.

- العمل في مراكز البحوث ومتابعة الدراسات التربوية والصحية والاجتماعية، ويعمل في مراكز التخطيط والتنظيم والإدارة.

الشروط التي يجب توفرها في محيط عمل الأخصائي الإكلينيكي :

- يجب توفير مكتب خاص للمختص النفسي، أي غرفة خاصة يزاول فيها عمله.
- عمل الأخصائي النفسي يكون بالتنسيق مع الفريق الطبي.
- على الأخصائي النفسي أن يعرف ماهية وأهمية علم النفس العيادي للفريق الطبي ليكون التنسيق أكثر فعالية.
- على الأخصائي النفسي بناء علاقات يسودها التقاهم والاحترام مع الفريق الطبي لضمان سير الحسن للعمل.

وبالنظر إلى ما سلف ذكره عن مدى صعوبة موضوع علم النفس العيادي وتداخله وتعدد ميادينه وتشعب مجالاته، مع ما يجب توفره من كفاءات في الأخصائي النفسي، نتساءل عن حال الممارسة الإكلينيكية في وقتنا الحاضر؟ وهل للأخصائي النفسي العيادي مكانة فعلية وفاعلة في وظيفته؟ هل فرض حقيقة دوره وشخصيته في عمله؟

الدراسة الميدانية :

جرت الدراسة على مستوى ولايات (سطيف، باتنة، خنشلة، برج بوعرييج، بسكرة، المسيلة). وتكونت العينة من 35 أخصائيا نفسيا عياديا ممارسا في قطاعات مختلفة تراوحت خبرتهم المهنية بين سنتين و 24 سنة، والجدول التالي يلخص ذلك :

مكان العمل	عدد الممارسين	معدل سنوات العمل
المجمع الصحي	7	4
المصالح الاستشفائية	6	12
مؤسسة إعادة التأهيل والتربية	5	3
الكشف والمتابعة المدرسية	5	4
مركز المتخلفين عقليا	2	3
دار المسنين	3	5
مركز الإعدام والإصغاء	1	2
سلك الأمن الوطني	1	2
النشاط الاجتماعي	5	2

نتائج الدراسة الميدانية :

أظهرت نتائج الدراسة الميدانية أن واقع الممارسة اليومية للأخصائي النفسي في الجزائر يعكس عدم فعاليته وغموض دوره كممارس، سواء بالنسبة له أو للآخرين. ترجع هذه النتائج إلى عدة نقاط حساسة يمكن إدراجها تحت أربعة محاور :

1. التكوين الأكاديمي ووجود هوة ما بين التكوين النظري والميداني.
2. نظرة المجتمع.
3. عوامل شخصية.
4. ظروف العمل.

1 - التكوين الأكاديمي ووجود هوة بين التكوين النظري والميداني :

- ضعف الجانب النظري الأكاديمي الذي تلقوه أثناء التكوين (الاختبارات، الطرق العلاجية...).

- محدودية المعلومات والخبرات في الميدان، ونقص الممارسة وقصر فترة التربص أثناء سنوات التدرج حيث كانت الدراسة نظرية بحتة.

- نقص تكوين المؤطرين وعددهم، مما أدى إلى تكليف أساتذة ليسوا من أصحاب الاختصاص.

- محدودية التكوين الذي يتلقاه الطالب في علم النفس العيادي.

- اعتماد التكوين باللغة العربية رغم توفر معظم المراجع باللغة الأجنبية.

- نقص الرسكلة والتكوين المستمر.

2 - نظرة المجتمع :

- غموض في فهم دور المختص النفسي عدم وعي المجتمع بوظيفته وأهميتها.

- استهزاء الأشخاص بالتخصص وغياب ثقافة علم النفس.

3 - عوامل شخصية :

- توجه بعض الطلبة إلى الاختصاص دون رغبة، بل بسبب المعدلات المنخفضة.

- صعوبة استخدام اللغة الفرنسية أثناء الممارسة.

- عدم التنسيق بين الأخصائيين النفسيين.

- وجوب توفر عامل رغبة في مساعدة الآخرين والاستعداد لهذه الوظيفة.

4 - ظروف العمل :

- افتقار المكتب لادنى الشروط اللازمة للعمل العيادي.

- الوسط المهني غير المشجع.

خاتمة :

لا يعود واقع الممارسة العيادية في الجزائر إلى تقصير من جانب المشرع الجزائري الذي أولى أهمية كبيرة للأخصائي النفسي العيادي والمهام المنوطة به، ولا من جانب التراث العلمي الذي ألم بمكانته، وإنما يعود إلى :

- جهل معظم الأخصائيين النفسيين للنصوص القانونية.

- ضعف التكوين الأكاديمي، ووجود هوة بين التكوين النظري والميداني.

- غياب الثقافة النفسية في المجتمع الجزائري.

- عوامل متعلقة بشخصية الأخصائي.

- ظروف العمل غير الملائمة.

ولذا نقترح ما يلي :

- فتح خاबर بالجامعات مختصة في تكوين وترجمة الاختبارات النفسية.

- توضيح دور الأخصائي النفسي العيادي من خلال عقد ملتقيات وأيام دراسية

حول مهام الأخصائي النفسي العيادي وأهمية هذا الاختصاص في كل المجالات.

- انتقاء الطلبة الموجهين لعلم النفس العيادي بالاعتماد على نتائج اختبارات

التحصيل واختبارات الاستعداد.

- وجوب إعادة رسكلة الأخصائيين العياديين الممارسين بغرض تحديد المعلومات.

- إعادة النظر في محتوى ومدة التكوين الخاص بالطلبة، خاصة في فترة التبرص.

مراجع :

أ - مراجع عربية :

(1) لويس كامل مليكة . العلاج النفسي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1997.

(2) لويس كامل مليكة . علم النفس الإكلينيكي، ج 1. التشخيص والتنبؤ في الطريقة الإكلينيكية، ط 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985 .

(3) محمد السيد عبد الرحمان . علم الأمراض النفسية والعقلية، دار قباء، القاهرة، 2000 .

(4) ياسين عطوف محمود . علم النفس الإكلينيكي/ ج 1 . دار العلم للملايين . بيروت ، 1981 .

(5) الجريدة الرسمية الجزائرية.

ب - مراجع أجنبية :

6-Anzieu Didier (1979), « La Psychanalyse au service de la Psychologie », Revue 20/59 .

8-Lagache. D (1949), « L'unité de la Psychologie Clinique », Paris, P.U.F.

9-Gose. R.L (1972), « Psychologie de demain », Paris, P.U.F.

10-Samcher. R (1998), « Psychologie Clinique et Psychopathologie », France.

11-W. Schrainl (1973), « Précis de Psychologie Clinique », P.U.F, Paris.

الإرشاد النفسي لآباء الأطفال المتخلفين عقليا استراتيجيات التدخل المبكر

د / صلاح الدين تغليث

جامعة سطيف

تتناول هذه الورقة البحثية أهم الخدمات الإرشادية الواجب تقديمها للوالدين والأسرة كمشاركين في كفالة الطفل المتخلف عقليا وتعليمه، فتشمل إعادة تعليم الوالدين وتطوير مهاراتهم في معاملة الطفل وتعليمه من خلال تعريفهم باحتياجاته وسبل إشباعها، وبكيفية توفير الخبرات والمواقف والأنشطة التي تستثير حواسه وتنشط استعداداته المتبقية، وتمكنه من زيادة معدلات تعليمه في بيئة المنزل.

وتستخدم في هذا الصدد برامج إرشادية و تعليمية تمكنهم من القيام بدورهم في تصميم الواجبات التعليمية والتدريبية للطفل ومتابعتها، كما تستخدم برامج تدخلية تعليمية تقوم على رعاية الطفل في كنف أسرته عن طريق أحد والديه أو كلاهما تحت إشراف المتخصصين.

ومن هذا المنطلق يحاول الباحث فيما يلي الإجابة على التساؤلات التالية :

أولا : ماهية الإرشاد النفسي عموما، والإرشاد النفسي لآباء وأسر الأطفال المتخلفين عقليا على وجه الخصوص.

ثانيا : مبررات الإرشاد النفسي لآباء الأطفال المتخلفين عقليا.

ثالثا : الغاية من الإرشاد النفسي لآباء الأطفال المتخلفين عقليا.

رابعا : سبل الإرشاد النفسي الملائمة لتحقيق هذه الأهداف.

أولا : في مفهوم وماهية الإرشاد النفسي، وإرشاد آباء المتخلفين عقليا :

الإرشاد النفسي باعتباره فرعا من فروع علم النفس التطبيقي، تشعبت مجالاته وخدماته لتغطي مختلف مراحل العمر من الطفولة إلى الشيخوخة، ولتشمل الأشخاص العاديين وذوي الاحتياجات الخاصة، وكذلك مختلف مجالات السلوك والنشاط الإنساني، بما في ذلك الأفراد والأزواج والأسر في جميع مراحل العمر، بغرض حصر مشكلات التعليم والاختيار المهني والعمل والزواج والأسرة والعلاقات الاجتماعية والصحة وتقديم السن والإعاقة.